مستقبل العلاقات الروسية التركية في سورية

(خلافات تبددها المصالح)

barq

New idea..New life

barq-rs.com

fb.com/barqrs

info@barq-rs.com

twitter.com/barq_rs

00905373505576

00902125508748

Akşemsettin, Fevzi Paşa.Cd
No:33,34080 Fatih/İstanbul

مستقبل العلاقات الروسية التركية في سورية (خلافات تبددها المصالح)

تواترت أنباء إعلامية صباح الإثنين ٢٠ آذار/ مارس الحالي عن توجه قوات عسكرية روسية نحو قرية كفرجنة في ريف حلب (منطقة عفرين)، بغية إنشاء قاعدة عسكرية بها، كما وأفادت مصادر محلية سورية ولقطات مصورة نشرت عبر (يوتيوب) عن وصول مصفحات وناقلات جند روسية إلى خط التماس بين القوات الكردية وفصائل الجيش الحر في منطقة عفرين، لتقوم وزارة الدفاع الروسية مساء نفس اليوم بنفي نيتها إنشاء مثل تلك القاعدة. حيث أعلنت وزارة الدفاع الروسية أنه سيتم نقل أحد أفرع مركز المصالحة الروسي إلى مدينة عفرين لمراقبة الهدنة، ولا نية لروسيا بإنشاء قاعدة عسكرية.

إن المتابع للوضع السوري وتعقيداته المختلفة يدرك أهمية حدث كهذا؛ وما سيتركه من أثر على العلاقات الروسية التركية؛ وما لمنطقة عفرين من خصوصية في تعقيدات الوضع السوري عموماً والشمال السوري تحديداً!

لقد ثبت في الأحداث الأخيرة هشاشة تلك الهدنة التي أوشكت على الاضمحلال، والتي فرضها اتفاق وقف إطلاق النار في سورية بين روسيا وتركيا، نيابة عن أطراف الصراع في ٢٩ ديسمبر الماضي، والتي كان من أسباب قيامها أصلاً دفع العلاقات الروسية التركية نحو الأمام في الملف السوري.

فقد استمر النظام وحلفائه في خرق الهدنة منذ قيامها، متذرعاً دائماً بأنه يواجه قوات داعش وفتح الشام (النصرة سابقاً)، والتي استثناها وقف إطلاق النار، لتزيد من خروقاتها وصولاً للهجوم على حي القابون الدمشقي بداية الشهر الماضي. ولم تقف المعارضة متفرجة، فصدت اعتداءات النظام وأخذت زمام المبادرة مؤخراً بالهجوم انطلاقاً من حي جوبر الدمشقي باتجاه ربطه بحي القابون، مما باغت قوات النظام، وفتح معركة جديدة داخل دمشق.

كل ذلك يدل على هشاشة الهدنة، وهو ما دفع بقوات المعارضة بعدم حضور اجتماعات أستانة الثاني بداية الشهر الحالي، بحجة عدم وفاء روسيا بالتزاماتها كطرف ضامن للهدنة ووقف إطلاق النار، وبشكل خاص إشرافها على تسوية حي الوعر في حمص بين النظام والمعارضة، والذي سيتم بموجبه تهجير سكان الحي.

رغم وجود العديد من القضايا الخلافية والمواقف المتباينة بين الدولتين، من الأزمة الأوكرانية والجورجية، وصولاً للقضية القبرصية وقضية إقليم ناغورني كاراباخ، وصولاً للانقلاب في مصر، فإن الأزمة السورية وارتداداتها تتصدر مشهد العلاقات بين الدولتين.

اتســـمت العلاقة بين الدولتين تاريخياً بحالة عامة من العدائية أو اللاســـلم بتعبير أدق، حيث شـــهدت العلاقة منذ القرن السادس عشر قرابة ١٧ حرباً لحين قيام الثورة البلشفية في روسيا عام ١٩١٧، والتي كان من نتائجها المباشرة انسحاب روسيا من الحرب بعد أن كانت قد كبدت القوات العثمانية خسائر كبيرة، واحتلت الكثير من أراضي الدولة العثمانية لتتراجع عنها لاحقاً. ولم يكن مشروع ترومان مارشال عام ١٩٤٧ سوى لمواجهة المد الشيوعي، عبر تقديم الولايات المتحدة لمســـاعدات مالية كبيرة لكل من تركيا واليونان –اللتان كانتا تعانيان اقتصـــادياً– لمنع وصـــول الشيوعية للحكم فيهما. وانضمام تركيا لاحقاً لحلف الناتو عام ١٩٥٢ وبالتالي تموضعها ضمن المعسكر المعادي للاتحاد السوفييتي.

تحسنت العلاقات مع بداية القرن الواحد والعشرين بوصول بوتين للرئاسة في روسيا، ووصول حزب العدالة والتنمية للحكم في تركيا، مدفوعة بمصالح اقتصادية بالدرجة الأولى، طبقاً لعوامل القرب الجغرافي والاحتياجات المتبادلة، ورغبة كل من الدولتين بمرحلة جديدة من العلاقات، أطلقتها تركية ضمن استراتيجيتها في تصفير المشاكل مع دول الجوار، وهي استراتيجية البروفيسور أحمد داود أوغلو رئيس الوزراء التركي السابق.

جاءت الثورة الســـورية عام ٢٠١١ وما حملته من تداعيات في الســـياســـة الدولية، حاملة معها بذور الخلاف من جديد، تمثلت في اختلاف الموقفين من الأزمة الســـورية. فتركيا التي كانت تربطها علاقات وثيقة بالنظام الســـوري قبيل الثورة، وقفت في وجه ممارسات النظام السوري ضد الشعب والثورة السورية، بل دعمت لاحقاً المعارضة السورية المسلحة، تارةً لوجستياً، وسياسياً تارة أخرى، واشتد الخلاف التركي السوري ووصل لمرحلة العداء الكامل والاتهامات المتبادلة. في حين وقفت روسيا لجانب نظام الأسد مع بداية الأحداث، ولم تتورع في الدفاع عن النظام سياسياً من خلال التصريحات الدبلوماسية شبه اليومية، ومنع صدور أي قرار يدين النظام السوري من مجلس الأمن الدولي عبر استخدام حق النقض الفيتو، وصولاً لبدء القاذفات الروسية قصفها لمواقع المعارضة السورية في سبتمبر ٢٠١٥، معلنةً بدء التدخل العسكري المباشر بعد أن كان مقتصراً على توريدات الأسلحة، مساهماً في منع السقوط الذي كان محتماً للنظام السوري حسب التقارير الغربية آنذاك.

وتركيا التي لطالما طالبت بإنشاء منطقة عازلة داخل الأراضي السورية على حدودها الجنوبية، كانت قد دخلت قواتها العسكرية البرية إلى سورية في أغسطس الماضي ٢٠١٦ معلنة أهدافها في تأمين حدودها ضد المنظمات الإرهابية (داعش ووحدات حماية الشـــعب الكردية الجناح العســـكري لحزب الاتحاد الديمقراطي الكردي الفرع الســـوري للعمال الكردستاني)، ساعيةً لتطهير المنطقة بين مدينة أعزاز غرباً ومنبج شرقاً، قبل التحضير لاستعادة الرقة حسب تصريحات المسؤولين الأتراك.

نظرة استشرافية:

تتفهم كل من رو سيا وتركيا م صالح بع ضهما البعض في سورية، فكلتا الدولتان قد تدخلت ع سكرياً في الأرا ضي ال سورية مدفوعتان بم صالحهما الخا صة –ولا مجال لذكرها هنا– و سيبقى في الم ستقبل القريب على الأقل، تواجداً ع سكرياً م ستمراً لكلتا الدولتين داخل الأرا ضي ال سورية، رغم وجود تعارض في بعض الم صالح، ولا غنى لهما عن بع ضهما البعض، في ا ستمرار التن سيق باعتبار رو سيا الحليف الأول للنظام ال سوري وقادرة على التأثير عليه، مقابل قوة التأثير الكبيرة لتركيا على قوى المعارضة السورية وقدرتها على فرض أجندة معينة عليها.

لذلك ستعمل رو سيا على الا ستمرار في م سك الورقة الكردية كعامل ضغط في التعامل مع أنقرة وال ضغط عليها، بهدف التأثير على مواقف تركيا ودفعها لتقديم تنازلات مستقبلاً ضمن أي تسوية للأزمة السورية، وقد أعلن متحدث با سم وحدات حماية ال شعب الكردية تعقيباً على و صول قوات رو سية إلى عفرين، التو صل لاتفاق مع مو سكو حول تواجد عسكري روسي في منطقة عفرين بريف حلب وتدريب مقاتلين أكراد.

تدرك أنقرة جيداً حجم الدور الرو سي، لذا ست سعى لعدم الت صادم مع الروس مرة أخرى كما جرى سابقاً بعيد إ سقاط الطائرة الروســية من قبل تركيا على حدودها الجنوبية، والتي أدت الى تدهور علا قات البلدين بشــكل كبير، لكن الدبلوماســية التركية أخرجت تركيا من المأزق بأقل الخســائر ودفعت العلاقات نحو التعاون مجدداً رغم اضــطرارها لتقديم الاعتذار.

ستسعى روسيا لدعم فكرة واشنطن بإنشاء تجمع لعدة قوى بهدف استعادة الرقة من أيدي تنظيم الدولة بالتنسيق مع الولايات المتحدة وتركيا بمشاركة النظام السوري والقوى الكردية، رغم وجود فيتو تركي مسبق على اشتراك القوات الكردية في معركة الرقة.

مدينة منبج: "عقدة العقد"

لم تتوقف تصريحات المسؤولين الأتراك من أن هدف قوات درع الفرات بعد السيطرة على مدينة الباب سيكون مدينة منبج، والتي تســيطر عليها قوات ســورية الديمقراطية (التي تشــكل وحدات حماية الشــعب معظمها)، والتي كانت سلمتها لمجلس منبج الع سكري نظرياً وهو أحد مكونات قوات سورية الديمقراطية نتيجة ال ضغط التركي ولاحقاً الطلب الأمريكي بالانسحاب شرق الفرات.

ست شكل مدينة منبج عنواناً بارزاً في الم ستقبل القريب، فقوات درع الفرات المدعومة تركياً ا ضطرت للتهدئة في توجهها نحو منبج، بعد ن شر الولايات المتحدة قوات ع سكرية أمريكية فيها بجانب قوات سورية الديمقراطية معلنة

هدفها بمنع التصـــادم بين الأتراك وقوات ســـورية الديمقراطية، مما يعني ضـــمنياً منع قوات درع الفرات من دخول المدينة. من جهة أخرى ومع اقتراب الأتراك من ريف منبج، قام مجلس منبج العسكري برفع العلم السوري في مباني منبج بالإضافة لتسليم النظام السوري قرى بين ريف منبج ومدينة الباب للنظام السوري. بذلك يتعقد المشهد بشكل لم يسبق له مثيل من قبل في تلك المنطقة، وهو ما دفع رئيس الوزراء التركي بن علي يلدرم للقول بأنه لا مانع لدى تركيا من سيطرة قوات النظام السوري على منبج، مفضلاً إياها (ضمنياً) بالطبع عن القوات الكردية.

لا شـــك أن صـــعوبات جديدة ســـتواجه الأتراك في ســـورية، ففرض الولايات المتحدة لأنجدتها أكثر من قبل في تلك المنطقة مع وصول الإدارة الجديدة للبيت الأبيض، سيزيد من تعقيد المشهد، وهو ما سيدفع أنقرة لإدارة الوضع المعقد بشكل استثنائي والعمل على الاستفادة من الدور الأمريكي.

ومع بداية شهر آذار الحالي تناقلت وسائل الإعلام خبراً باجتماع جرى في جنوب تركيا في قاعدة عسكرية تركيا في أضنة بين رؤساء أركان كل من روسيا وتركيا والولايات المتحدة، ولم يتم تحديد نتائج هذا الاجتماع، فضلاً عن أنه لم يلقَ الاهتمام الإعلامي الكافي!

ستسعى تركيا في ظل الوضع المعقد الحالي والتفوق روسي في مسك أوراق المنطقة، إلى الحذر أكثر فأكثر في التعاطي مع الشأن السوري ومحاولة التنسيق مع كلا الطرفين الروسي والأمريكي، والعمل على الاستفادة من أي تباين قد يحصل بين الأمريكان والروس، والعمل عليه لطرح مصالح تركيا والعمل على فرضها متى أمكن ذلك. بالإضافة لا سعي تركيا للعمل بقوة على تمكين علاقاتها مع الدول العربية لا سيما الخليجية منها في مواجهة الوضع الدولي الجديد، في الصـــعود المتنامي لقوى اليمين في الغرب وما لذلك من أثر على الدول العربية والإســـلامية، فضـــلاً عن ضرورة تقوية جبهتها الداخلية وهي متوجهة نحو إقرار دستور جديد.

التوصيات:

- من الجيد أن تعمل تركيا على زيادة أوراق قوتها الدبلوماســـية في مواجهة روســـيا بغرض تحقيق نوع من التوازن في العلاقة، فلتركيا دور كبير في العالم الإسلامي يمكنّها من مسك أوراق قضايا وأزمات تهم المصالح الروسية.
- إن الصـــعود المتزايد لليمين في أوروبا والغرب عموماً، يمثل فرصـــة مشـــتركة لكلتا الدولتين في تنســـيق مواقفهما وفتح آفاق تعاون جديدة سياسياً واقتصادياً في شتى أنحاء العالم، لا سيما أن العلاقات الروسية الأوربية ليست كما يرام، بالإضافة لتدهور العلاقات الدبلوماسية الأوروبية التركية إثر الأحداث الأخيرة من

منع وزراء أتراك دخول مدن أوربية وحضـــور اجتماع الجاليات التركية. وروســـيا بحاجة لقوة جارة لأوروبا بحجم تركيا تقف بقوة في وجه الأوروبيين وتقلقهم م ستقبلاً، خ صو صاً مع التعثرات التي يمر بها الاتحاد الأوروبي واحتمال انفراط عقده م ستقبلاً، مما يعني عودة النزعة القومية لدول أوربا من جديد. كما من المهم تن سيق التعاون في مواجهة الدور الأمريكي في دعم حركة الانف صال الكردية وتأ سي سها لقاعدتها الع سكرية الرابعة في سورية. فرو سيا رغم دعمها لأكراد سورية إلا أنها ترفض دعم الا صيغ والحركات الانف صالية تاريخياً، وما دعمها الحالي لوحدات حماية الشعب إلا استمراراً بمسكها لورقة مهمة في دبلوماسيتها في المنطقة.

- تعاني تركيا كثيراً من الهجمات الإرهابية، لا ســـيما من داعش، وهذه نقطة تقاطع مع الروس بحيث يتم التنســـيق معاً لمحاربة الإرهاب أو لنقُل محاربة الحركات التي تعتبر إرهابية من وجهة نظريهما، وقد نفذت روســـيا فعلاً عدة ضـــربات جوية على مواقع داعش في مدينة الباب دعماً لقوات درع الفرات أثناء معركتهم لاستعادة المدينة من يد تنظيم الدولة.
- إن العامل الاقت صادي أهم محددات العلاقة بين الدولتين، فرو سيا الـ شريك الثاني تجارياً لتركيا بعد ألمانيا، بالإضافة أن تركيا خامس أكبر شريك تجاري لروسيا بنسبة ٤،٥ بالمئة من إجمالي التجارة الخارجية، ويزور تركيا سنوياً أكثر من ٤ مليون سائح رو سي، من هذه المنطلق يمكن أن تكون سورية حلقة جديدة في سل سلة التعاون الاقتصادي عبر التعاون مستقبلاً في إعادة الإعمار.
- ســـيكون على تركيا الاســـتفادة من الوجود الروســـي في المنطقة في كبح جماح إيران وتقليص حجم دورها ومصالحها في المنطقة وسورية بشكل خاص.
- إن الإدارة الأمريكية الجديدة رغم اهتمامها المبدئي بقضـــايا الولايات المتحدة الداخلية لكنها قادمة إلى المنطقة بقوة مستقبلاً، لاسيما بعد خسارتها للكثير من قوتها الخارجية وهيبتها بفعل سياسات أوباما، وما أدى لتنامي الدور الروسي، بالتالي ستسعى الولايات المتحدة لإعادة دورها لمكانته السابقة مهما كلف الأمر.

ومما سبق فلا بديل للدولتين عن بعضهما البعض في التنسيق داخل سورية ورفعه لأعلى المستويات، في عالم تسوده مرحلة تمخض لشكل جديد في العلاقات الدولية قادم لا محالة.

جميع الحقوق محفوظة لدى مركز برق للأبحاث والدراسات © ٢٠١٧

"الآراء الواردة في المقال لا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر مركز برق للأبحاث والدراسات"